واطف وتصوير افكار ومعرفة حقائق عقليَّة وادبيَّة ما لا يمكن نسبتهُ الى غير
انيَّة مما يخالف المعلومات التي سبق كتبة السريان واليونان والرومان فرووها
لعرب قبل ذلك العهد وذلك وقتاً ما نعلم عن تنصُّر المناذرة والغساسنة وملوك
ة وبعض التبابعة فأثَّرت نصرانيَّتهم في شعراء ذاك القرن السادس ندماء اولئك
فقصدوهم متديِّنين بدينهم . وقلَّما نجد شعراء نبغوا حينئذٍ في نواحي اخرى من
كنجد والحجاز وان وُجد بعضهم فآثار النصرانيَّة فيهم ظاهرة كورقة بن نوفل
بن عمرو وشعراء طيّ (التتمَّة لعدد آخر)

خرافة البابا حنّة

فكاهة تاريخيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

ما كنَّا لنظنّ ان بعض الخرافات التي اكل عليها الدهر في مواطنها وشرب تقطع
وتظهر في سراحلنا كالبضاعة الكاسدة في بلادها تُرسل الى الاقطار الاجنبيَّة
تروج فيها

هذه الروايات الصبيانيَّة خرافة البابا حنّة سألنا رأينا فيها احد ادباء البروتستانت
افندي الرشي وقد أطلعهُ عليها احد دُعاة الإرساليَّة الاميركانية فرأينا ان
بها قرَّاءنا ليعلم السوريُّون الى اي حدّ يبلغ البغض للكنيسة الكاثوليكيَّة
رب اعدائها

١ من هي البابا حنّة

زعم مؤرخو البروتستانت ومن استند اليهم في القرن السادس عشر انَّ فتاة
حنَّة اصلها من مايُنس في المانية عشقت في القرون الوسطى رجلاً سافرت معهُ
لاد اليونان فاستوطنا عاصمتها اثينة وانكبَّت حنَّة هناك على العلوم فبرَّزت فيها
اجازاتها . ثمَّ مات عشيقها فعادت الى اوربَّة وتنكَّرت بملابس الرجال واتَّخذت

لها اسم يوحنا الانكليزي وسكنت رومية فاشتهرت فيها بعلومها . واذ توفي بابا رومية وقع عليها الاختيار فجلست على كرسي الخلافة البطرسية مدة سنتين بنيف . واضافوا الى هذه الفاسفة أنها اذ تصدرت في احد الطوافات الدينية تمخضت بمولود فعرف امرها ثم حُكم عليها فرُجمت

هذه هي الرواية الغريبة التي اشاعها في سويسرة والمانية اولاً ثم في بقية الاقطار البروتستانية انصار لوتاروس وكلوين فدوّنوها في كتبهم كاحدى الحقائق الراهنة التي لا يجوز الشك فيها

٢ زمن وجود البابا جنة

يقول المثل العربي انّ الكذب حبلة قصير . وفي مثل آخر انّ جلبة الكذب لساعة وغلبة الحق الى ظهور الساعة . وقد صح ذلك في رواية البابا جنة . وكان اول ما لاح مكر المخترعين لتلك القصة الخسيسة اختلافهم في تعيين زمن وجود البابا جنة . ولا يخفى على احد من المؤرخين المحققين المدققين انّ السلسلة البابوية راقية بلا انقطاع الى عهد هامة الرسل القديس بطرس النائب الاول للسيد المسيح ترويها السجلات الرومانية كما اثبتها غير واحد من مؤرخي الكنيسة وسواهم واذا راجعت تلك السلسلة لن تجد البتة انفصاماً في حلقاتها ولا ادنى اثر للبابا جنة المذكورة

وان سألت البروتستانت ان يعيّنوا تاريخاً صحيحاً للمرأة المزعومة انفرط عقدهم وذهبوا في تعيين زمنها مذاهب متناقضة كانت اوّل دليل على كذب تلك الاشاعة . فمنهم من زعموا انّ جنة المذكورة جلست على الكرسي البابوي في غرة شهر آب سنة ٨٥٤ بعد القديس لاون الرابع الشهير بما اضاف الى رومية من الاحياء التي عُرفت باسمه فدُعيت بالمدينة اللاونية . والحال قد اجمع كلّ المؤرخين انّ بندكتوس الثالث خلف لاون الرابع دون مهلة تُذكر وتشهد على ذلك رسالة هنكمار رئيس اساقفة ريمس الذي اخبر انهُ ارسل وفداً الى البابا لاون الرابع ليثبت اعمال مجمع سواسون فلما وصلوا الى عاصمة الكثلكة وجدوا البابا قد مات وخلفهُ بندكتوس الثالث

ويشهد على الامر ذاتهِ ايضاً فوطيوس في كتابهِ عن انبثاق الروح القدس (Migne PP. GG., CII, 376-7) حيث يقول ما تعريبهُ : « قد عرف جيلنا خبراً جليلاً

شهدت معجزاتهُ على قداستهِ وهو البابا لاون الذي قام خلفاً لهُ بندكتوس ذاك ملاك الحلم والمحبَّة . ثمَّ تبعهُ نقولا . . . »

وكتب المؤرخ المعاصر أدون من ثيتًا من اعمال فرنسة في تاريخهِ (Migne:PP. LL. CXXIII, col. 137) قال: «لمَّا توفي لاون الرابع خلفهُ على الكرسي الرسولي بندكتوس . . ثم قام بعد بندكتوس ذلك الحبر العظيم نقولا فدُفن عند وفاتهِ بقرب سلفهِ تحت رواق كنيسة القديس بطرس »

فترى أنهُ ليس سندٌ البتَّة لزعم القائلين بجاوس البابا حنَّة في القرن التاسع . وقد ارتأى غيرهم انَّها كانت في القرن الحادي عشر وانَّ جاوسها على العرش البابوي كان سنة ١٠٨٩ وهو رأي جان دي مالبي (J. de Mailly) وليس كلامهُ اثبت من السابق فانَّ في تلك السنة كان ضابطاً لأزمَّة الكنيسة البابا اوربانوس الثاني الشهير المدلن بالحروب الصليبيَّة الذي خلف في آذار سنة ١٠٨٧ فكتور الثالث المتوفى في ايلول ١٠٨٦ . وقال اتيان دي بوربون انَّ البابا حنَّة كان مالكاً سنة ١١٠٠ وهو ايضاً قول خالٍ من كلّ مسحة حقّ لأن الجالس على السدَّة البطرسيَّة في تلك السنة كان احد مشاهير عصرهِ البابا بسكال الثاني الذي دنَّس كنيسة المسيح من السنة ١٠٩٩ الى ١١١٨ . فهذه كلّ مخترعات القائلين بخرافة البابا حنَّة

٣ اصل هذه الخرافة وطريقة شيوعها

وهاك تسأل وما اصل هذه الخرافة وكيف امكن مخترعيها ان يذيعوها في امكنة عديدة حتَّى حسبها بعض الكتبة من الامور التاريخيَّة الراهنة . ها نحن نبيّن ذلك استنادًا الى اصدق المؤرخين الكاثوليك والبروتستانت معاً

لمَّا كانت السنة ١٥٥٠ نشر الكتبيّ البروتستاني المدعو جان هيرولد (J. Hérold) من مدينة بال في سويسرة تاريخين : الاوَّل لمؤلف يُدعى ماريانوس سكوتوس (الاسكوتلندي) المتوفَّى سنة (١٠٨٥ م) وكان اصلهُ من ارلندة وترهَّب في رهبانيَّة القديس مبارك . ويبتدئ تاريخهُ من اوَّل العالم الى زمانهِ اي السنة ١٠٨٣ . والتاريخ الثاني لمرتينوس البولوني رئيس اساقفة غنيسن المتوفَّى سنة ١٢٧٨ ألَّف تاريخاً جامعاً لاخبار الكنيسة منذ اوائل النصرانيَّة الى زمانهِ

فالمتولي نشر التاريخين السابقين تجاسر فدسَّ في الاوَّل في تاريخ سنة ٨٥٤ ما تعريبهُ : « في غرَّة آب من هذه السنة توفي البابا لاون فخلفتهُ امرأة تُدعى حنَّة دبَّرت الكنيسة سنتين وخمسة اشهر واربعة أيام » فجعل هيرولد هذه الفقرة كمقدِّمة لما اراد بسطهُ في التاريخ الثاني لرئيس اساقفة غنيسن حيث روى ذلك الخبر الغريب على هذه الصورة : « قام في تدبير الكرسيّ الرسولي بعد لاون الرابع يوحنَّا الانكليزي من مايَنس فدبَّرهُ سنتين وخمسة اشهر واربعة أيام ومات في رومية . يقال انَّ يوحنَّا المذكور كان امرأةً رحلت في أيام شبابها مع عشيقها الى اثينة فتنكَّرت بلبس ثياب الرجال ودرست العلوم في تلك الحاضرة الشهيرة فبرعت فيها وغلبت اشهر اساتذتها بذكائها . ثم قدمت الى رومية على زيّها متنكِّرةً فعلَّمت المنطق والطبيعيات والادب حتَّى تزاحم التلامذة حولها مفتخرين بالتخرُّج عليها . وقد بلغ بها علمها الفريد وحسن سيرتها الى انتخابها للمنصب البابويّ . لكنَّها لما اصابت ذلك المقام الرفيع خالفت سلوكها وفي بعض الأيام اذ كانت جاريةً في موكب فخيم من كنيسة القديس بطرس الى كنيسة مار يوحنَّا اللاترانية تمخضت كما قيل بين كنيسة القديس اقليمس ومسرح الكولوزيه فماتت ودُفنت هناك ولذلك لم يعد الاحبار الرومانيُّون يمرُّون على هذه الطريق انفةً وتكرُّهاً »

فلمَّا طُبع هذان الكتابان جعل المتشيِّعون للوتاروس واعداء الكنيسة يطنبون ويزمِّرون برواية هذه القصَّة ويزيدون عليها كلَّ ما تسوِّله لهم مخيلتهم السجية : غير انَّ ذوي النزاهة منهم ارادوا ان يتحقَّقوا صحَّة هذه الحكاية فطلبوا نسخاً مخطوطة من التاريخين المشار اليهما فما لبثوا ان وقفوا على وقاحة هيرولد وتزويره للكتابين فانَّ العلَّامة ڤيتز (M. Waitz) توفَّق الى اكتشاف النسخة الاصليَّة من تاريخ ماريانوس مخطوطةً بيده فلم يجد اثرًا لتلك الرواية ثمَّ وُجدت نُسخ اخرى من كتابه وكلُّها خالية منها

وهكذا فعل العلماء البروتستانت باوندل (Blondell) وليبنتس (Leibnitz) وصموئيل مار (S. Mares) وغيرهم في انتقاد تاريخ مرتينوس البولوني فثبت لهم تزوير هيرولد فقبَّحوا عمله واعلنوا بكذبه ومكره . واذ اراد المؤرِّخ سپانهيم ان يدافع عن صحَّة رواية حنَّة البابا قنَّد الفيلسوف ليبنتس حجَّتهُ فلم يدع منها اثرًا وتفنيدهُ

هذا في مجموع تآليفه (ك ١١ ص ٢٨٦) وكفى بشهادة مثله بياناً للحقيقة.

وكان ممخرق آخر من البروتستانت زوّر مثل هيرولد تاريخاً قديماً لسيغبرت من كتبة القرن الثالث عشر فتصدّى له تاشرو مآثر جرمانية : (Pertz et Bethmann Monumenta Germaniæ) فأثبتوا في تأليفهم النسخة الصحيحة من هذا التاريخ وقابلوها بنسخ غيرها وكلّها تجهل خرافة البابا جنّة

ولمّا عُقد في باريس مؤتمر برامي (Poissy) سنة ١٥٦١ فحضره البروتستانت والكاثوليك اعترض زعيم اهل الشيعة تاردورس دي باز (T. de Béze) على الكاثوليك بقصّة البابا جنّة فقام ذاك الجهبذ المرتد عن البروتستانت الكردينال دو پرون (Du Perron) فأفحمه فلم يُحرْ جواباً. واليوم لم يَعُد الى ذكر هذه الخرافة الّا الجهلاء الذين ليس لهم ادنى إلمام بالتاريخ او يستقون معلوماتهم من دائرة معارف البروتستانت القديمة (les Centuriateurs de Magdebourg) التي يأنف المحقّقون مراجعتها لكثرة اكاذيبها وتزويراتها.

ولعلّك تسأل اليس في التاريخ اثرٌ ما قد اتّخذه النصّابون كحجّة لروايتهم هذه الغريبة ؟ يجيب العلماء على ذلك بقولهم انّ هذه الرواية اشاعها بعض الايطاليين المعادين للبابا يوحنّا العاشر سنة ٩١٤ لأنّ انتخابهُ صار بمساعي الاميرة تاردورة من دوقات مقاطعة توسكانة التي كانت تسلّطت على رومية وتمكّنت بنفوذها من تنصيب البابا المذكور على الكرسيّ الرومانيّ فدعوا البابا تهكّماً البابا جنّة

وقال غيرهم وهو الرأي المرجّح انّهُ شاع في ايطالية انّ ذوي الاحزاب المتعدّدة الذين كانوا بسطوا حكمهم على مدينة القسطنطينيّة في اواسط القرن الحادي عشر اقاموا على كرسيها البطريركي امرأةً فبلغ الخبر الى مسامع البابا لاون التاسع فكتب سنة ١٠٥٤ لميخائيل كرولاريوس رسالة رُويت في جملة اعمال الآباء اللاتين (Migne, PP. LL. CXLHI. col. 760) يقول فيها ما تعريبهُ : «حاشانا ان نصدّق ما يتناقلهُ الصوت العام عن كنيسة القسطنطينيّة فانّهم يشيعون انّهُ جلست امرأة على كرسيها البطريركي بيد انّ ما نعرفهُ عمّا يجري في هذه الكنيسة من القلاقل والى اي حدّ بلغت من إهمال القوانين المقدّسة في تنصيب رجال لا اهليّة لهم البتّة لتدبير الكنيسة يدفعنا الى الظنّ بوقوع مثل هذه الشكوك». فلا يبعد انّ هذه الإشاعة عن كرسيّ

القسطنطينيّة حوّلها زورًا بعض الملاحدة على الكنيسة الرومانيّة وموّهوها بتفاصيل فريّة كاذبة . وعلى كلّ حال لو كان الكرسيّ الرسوليّ في القرن التاسع الى القرن الحادي عشر تدنّس بما نسبهُ اليهِ المشوّهون لما كان سها كيرولاريوس بطريرك القسطنطينيّة وهو من ألدّ اعداء الكنيسة الرومانيّة عن تقريع البابا لاون التاسع ورد سهمهِ اليهِ

فهذه نبذة قصيرة كان يمكننا ان نطيلها بشواهد غيرها تزيدها اثباتاً لكنّ في ما ذكرنا الكفاية لمن يطلب الحقّ ويؤثر الباطل

آثار قديمة في معراب

لحضرة الاب رينه موترد اليسوعي

قبل ان نباشر بوصف هذه الآثار احببنا ان نصدّرها ببعض المعلومات التي استفدناها من حضرة الخوري الفضال بطرس باسيل الذي حضر اكتشاف تلك العاديّات في معراب في بعض املاكهِ قال :

معراب قرية صغيرة في كسروان تتّصل بفوسطا من جهة الجنوب وبدلبتا من الشمال وهي على جبل عالٍ مشرف على البحر يمتدّ منها النظر الى مسافة بعيدة طيبة الهواء بما يكتنفها من الغابات الكثيفة وفي وسطها رابية مستديرة الشكل تعلو عن سطح البحر نحو من ٨٤٠ مترًا . وعلى قمّة هذه الرابية المعروفة « بالقلعة او الحصن » آثار ابنية قديمة العهد بقي منها قسم اساس جهتيها الشرقيّة والجنوبيّة . والى جانبيها الشرقيّ والشماليّ ابنية متهدّمة متراكمة ممّا يدلّ على شرف هذا المكان في سالف العصور . وقلّما ورد لها ذكرٌ مع ذلك في كتب المؤرخين الّا عرضاً . قال الدويهي في تاريخ الطائفة المارونيّة (ص ١٢٥ — ١٢٦) في وقائع سنة ١٣٠٧ ما حرفهُ : « قيل ان جسر المعاملتين بناهُ سليمان بن عراب وهو الذي بنى حصن معراب شرقيّ غزير » . وروى مثل ذلك الامير حيدر في تاريخهِ (ص ٤٨١) وانّما دعا بانيهُ « سليمان بن معراب »